بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الدرس الثالث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألَّا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، فنواصل مستعينين بالله عز وجل في القراءة في كتاب الكبائر للإمام الذهبي رحمه الله]

الكبِيرَةُ الأولى
هي الإشْراكُ بِاللّهِ

وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، وَتَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ بَشَرٍ، أَوْ شَمْسٍ، أَوْ قَمَرٍ، أَوْ نَبِيٍّ، أَوْ شَيْخٍ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ نَجْمٍ، أَوْ مَلَكٍ، أَوْ غَيرِ ذَلِك.

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢].

وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان]. وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَة.

فَمَنْ أَشْرَكَ بِالله تعالى ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ قَطْعًا، كَمَا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَمَاتَ مُؤْمِنًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عُذِّبَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ الْإِشْرَاكُ بالله...» الحَدِيث.

وَقَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَات...»، فَذَكَرَ منها الشِّرْكَ.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوه» حديث صَحِيحٌ.

هنا بدأ المصنف رحمه الله بسرد الكبائر وعدها واحدة تلو الأخرى، وبدأ رحمه الله بكبيرة الشرك وبدؤه بها هو اتِّباع للقرآن والسنة، فالقرآن والسنة في الأوامر يبدأ بأعظمها، وأعظمها التوحيد وفي النواهي يبدأ بأخطرها وأخطرها الشرك هـٰذا مطرد في القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان:٦٨]، ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا

وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء]، ثم ذكر في السياق ثمانية عشر من الأوامر والنواهي، فالقرآن في عد الأوامر يبدأ بالتوحيد وهو أعظم الأوامر وأحسن الطاعات وأجلها وأساسها، وفي النواهي يُبدأ بالشرك بالله ﷻ وبالتحذير منه وكذلك السنة.

وقد ذكر المصنف فيما سيأتي معنا حديثين في الكبائر وكل منهما بدئ بالشرك، فبدأ به المصنف رحمه الله.

والشرك هو أعظم الذنوب وأخطرها، وهو الذنب الذي لا يغفره الله تَبَارَكَ وَتَعَالى لصاحبه إن مات عليه، فمن لقي الله مشركًا فمأواه جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبد الآباد لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها، كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر]، فالشرك بالله هو أظلم الظلم وأكبر الذنوب، وهو الذنب الذي يغفره الله لصاحبه إن مات عليه.

والشرك بالله هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله، سواءً خصائص الله في الربوبية، أو في الأسماء والصفات، أو الألوهية.

ولهٰذا كما أنَّ التوحيد ينقسم الأقسام الثلاثة -توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصِّفات- فإن الشرك ينقسم إلى أقسام ثلاثة: شرك في الربوبية وشرك في الأسماء والصفات وشرك في الألوهية. فمن أعطى غير الله شيئًا من خصائص الله في ربوبيته يكون جعل لله شريكًا في الربوبية، ومن أعطى غير الله شيئًا من خصائص الله في أسمائه وصفاته يكون جعله شريكًا لله في أسمائه وصفاته، ومن أعطى غير الله عز وجل من العبودية التي هي حقٌّ لله لا يجوز صرفها لغيره فقد جعله شريكا لله ﷻ في ألوهيته.

فالشِّرك ينقسم إلى هٰذه الأقسام الثلاثة.

والشرك هو التسوية؛ تسوية غير الله بالله، كما قال الله عز وجل عن أهل النار عندما يدخلونها قالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء]، فتسوية غير الله بالله في خصائصه هٰذا شرك بالله ناقل من ملّة الإسلام، وهو أيضا عدل غير الله به، والعدْل التسوية ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام]، أي يجعلون غيره عِدلًا له، أي: مثيلًا ومساويا.

والشرك هو أيضا التنديد، أن يجعل مع الله ند، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة]، فهٰذه حقيقة الشرك وهو أعظم الذنوب وأخطرها، وهو محبط للأعمال مبطلٌ لها، فالمشرك لا يقبل

الله منه عمل، ولا ينتفع بطاعة مهما كثُرت أعماله ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر].

قال المصنِّف رحمه الله: (وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، وَتَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ بَشَرٍ، أَوْ شَمْسٍ، أَوْ قَمَرٍ، أَوْ نَبِيٍّ، أَوْ شَيْخٍ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ نَجْمٍ، أَوْ مَلَكٍ، أَوْ غَيرِ ذَلِك.) فكل هـٰذه مخلوقات لله، والمخلوق لا يُسوَّى بخالقه ولا يُعطى من خصائص خالقه، ولا يُجعلُ نِدًّا لخالقه، كيف يُسوَّى المخلوق من ترابٍ بربّ العالمين ومالك الرِّقاب ﷻ؟! كيف يسوى المخلوق الناقص الفقير العاجز بالرَّب الغني العظيم؟! فهـٰذا أظلم الظُّلم وأشنعه على الإطلاق، أن يُسوَّى غير الله بالله.

وتأمَّل كلمة المصنف وهي مأخوذةٌ من الحديث قال: (أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ) وهـٰذا فيه لفتُ انتباهٍ لشناعة الشِّرك وشناعة أعمال المشركين، تفرَّد الله ﷻ بخلقهم وإيجادهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، فجعلوا له الشركاء ودعوا غيره من دونه، وأقبلوا بعباداتهم وطاعاتهم وسؤالاتهم وطلب حاجاتهم إلى غيرِ من خلقهم، وهـٰذا من أشنع ما يكون، تفرَّد بخلقهم ثم يتجهون بعبادتهم وحاجاتهم إلى غيره، وفي هـٰذا المعنى يقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة] أي: تعلمون أنه لا خالق لكم غيرُ الله، تعلمون أن الله تفرَّد بخلقكم؛ فلا تجعلوا له أندادًا، لا تجعلوا له شركاء في العبادة، مثلها أيضًا قوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢] أي: تَفرَّدتُ بالربوبية، تَفرَّدتُ بالخلق، تَفرَّدت بالإيجاد، ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ أي: أخلصوا لي العبادة. (أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ) يعني تفرَّد بخلقك وإيجادك من عدم ثم يجعل له المشرك ندًّا وشريكًا.

وهـٰذه أمثلة من مخلوقات الله: الحجر، والشجر، والشيخ، والنبي، والقمر.. كل هـٰذه مخلوقات لله لا تستحق من العبادة شيئًا، العبادة حقٌّ للخالق العظيم، الرب الجليل ﷻ.

(قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].)، هـٰذه الآية فيها التنصيص على أن ذنب الشرك ذنب لا يُغفر لمن مات عليه، أما من كان مشركًا وتاب يتوب الله عليه، وكم من المشركين الكفار تابوا وقبلوا دعوات الأنبياء فتاب الله عليهم.

فإذن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ هـٰذا في حقِّ من مات على ذلك، أما قوله ﷻ في سورة الزمر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣] هنا قال: ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ وهناك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ قد يستشكل البعض الأمر، يعني في هـٰذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ وهناك

قال:﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ بما فيها الشرك يغفره الله، وتوضيح الأمر أن آية النساء في حقِّ من مات على ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، وآية الزمر في حقِّ من تاب، فقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: لمن تاب، بما فيه الشرك، بدليل قوله: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾ أي: توبوا، ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ فقوله: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾ أي توبوا إلى الله؛ فإن الله يغفر الذنوب، لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره مهما عَظُمَ الذَّنب وبلغ الجُرم وتعدَّد إذا تاب منه صاحبه تاب الله عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ هـٰذا في حق من تاب، وآية النساء في حق من مات على ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي من مات على ذلك.

ومن مات على الكبيرة غير تائبٍ منها ما حكمه؟

هو عرضةٌ للوعيد، ونصوص الوعيد يخشى عليه منها، ولكن نزول هـٰذا الوعيد يترتب على أمور، ولهـٰذا قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن عذَّبه فإنه لا يخلُد في النار، ثم هؤلاء أهل الكبائر إذا دخلوا النار بموجب كبائرهم وذنوبهم فإنهم يخرجون منها على دفعات دفعات وجماعات جماعات؛ لأنهم متفاوتون في فعل هـٰذه الكبائر ليسوا فيها على درجةٍ واحدةٍ ولا مستوى واحدٍ؛ فلهـٰذا جاء في السنة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثم تميتهم النار إماتة، ثم يخرجون ضبائر ضبائر**» الحديث في الصحيحين، «**ثم يخرجون ضبائر ضبائر**» أي جماعات جماعات «**فيُلقَون في نهر الفردوس فيحيون بمائه كما تنبت الحِبّة في حميل السيل**»، أي التي يحملها السيل إذا جاء يطفح.

قال: (**وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾** [المائدة:٧٢].) فمن مات مشركًا فهو واقع في أظلم الظلم وأكبر الجُرم، وعقوبته أنه مُحَرَّمٌ عليه دخول الجنة ومأواه النار مخلدًا فيها أبد الآباد، لا يُقضى عليه فيموت، ولا يُخفَّف عنه من عذابها، يعني لا يكون له موت فيسلم به من هـٰذا العذاب، ولا أيضًا يُخفَّف عنه من عذابها؛ بل دل القرآن على أن الكافر يزداد عليه العذاب في النار في قوله ﷻ في سورة النبأ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾، قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره لهـٰذه الآية: إن هـٰذه الآية أشد الآيات على الكفار أهل النار؛ لأنه قد يتطلع أو يؤمل أو يظن أنه سيُقضى عليه فيموت، أو يظن أنه سيُخفَّف عنه العذاب، ويُهوَّنُ عليه العذاب أو أنه يُخرج، فيأتيه الرد، يأتيه الجواب: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾؛ يعني ليس لكم في هـٰذه النار إلا الخلود فلا موت والعذاب المتزايد.

قال: (وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان].) وهـٰذا فيه أنَّ الشرك أعظم الظلم، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأي وضعٍ للشيء في غير موضعه أشنع من أن توضع العبادة التي هي حقٌّ لله في غير موضعها فتُصرف للمخلوق؟! فهو ظلمٌ؛ لأن فيه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، العبادة موضعها أن تُصرف لله وأن تُخلص لله ﷻ وتكون خالصة له جل وعلا، فإذا وُضعت لغيره: من مَلَك أو نبي أو شجر أو حجر أو غير ذلك كان أظلم الظلم، قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾.

قال رحمه الله: (فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ تعالى ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ قَطْعًا).

(ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا) هـٰذا قيد (مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا) لكن من أشرك وتاب إلى الله ﷻ ومات موحِّدا يكون من أهل التوبة ويتوب الله عليه؛ لكن من أشرك بالله ومات على الشِّرك فهو من أصحاب النار قطعًا وجزمًا، وهو من أصحابها المخلدين فيها أبد الآباد، (كَمَا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عُذِّبَ)، فالموِّحد الذي لم يشرك بالله ﷻ هو من أصحاب الجنة قطعًا، وقطعا سيدخل الجنة ما دام غير مشرك بالله، «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة» ثم هـٰذا الدخول مختلفٌ، قد يكون دخولًا أوَّليًا -يعني بدون مرور بمرحلة تعذيب في النار-، وقد يكون دخولًا بعد مرور بمرحلة تعذيب في النار؛ ولهـٰذا الموحِّدون أو الذين سلموا من الشرك هم ليسوا على طبقة واحدة، وأقرأ في هـٰذا قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [فاطر] ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ الواو هـٰذه في قوله: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ شملت ماذا؟ شملت الثلاثة: السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه؛ أي: الظالم لنفسه بالذنوب والكبائر التي دون الشرك بالله، فهؤلاء الثلاثة كلُّهم قال الله عزَّ وجل عنهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾، والعلامة الشِّنقيطي رحمه الله في تفسيره يُعظِّم من شأن هـٰذه الواو تعظيمًا عجيبًا ويُفخِّم من شأنها ودائما إذا مر على هـٰذه الواو في مواضع يقف عندها؛ لأنها شملت الظالم، فالثلاثة كلهم يدخلون الجنة؛ لكن السابق بالخيرات والمقتصد كلٌّ منهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب.

المقتصد هو الذي فعل الواجب وترك المحرم.

والسابق بالخيرات هو الذي زاد على فعل الواجب وترك المحرم المحافظة على الرغائب والمستحبات.

فهـٰذان كل منهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب دخولًا أوليًا.

والظّالم لنفسه أي: الذي ظلم نفسه فيما دون الشرك، الذي ظلمَ نفسَهُ فيما دون الشرك؛ لأن الظُّلم عندما يُطلَق في القرآن:

تارةً يُطلَق ويُرادُ به الظلم الذي هو المعاصي التي دون الشرك.

وتارةً يُطلَق ويُرادُ به الظلم الذي هو الشرك، كما مَرَّ معنا قريبًا ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة].

ثم أيضًا لو تقرأ بقية السياق الذي معنا في سورة فاطر يأتي في تمام السياق بعد أن ذكر هٰذه الأقسام الثلاثة: المقتصد والسابق والظالم نفسه؛ لما ذكرهم ذكر ثوابهم عند الله ﷻ انتقل إلى القسم الآخر وهو الكافر قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر]، قوله هنا: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ غير ظالم لنفسه، هٰذا ظلم وذاك ظلم، هٰذا ظلمٌ الكفر موجب لدخول النار والخلود فيها أَبَد الآبَاد، وذاك ظلمٌ في ما دون الكفر وفي ما دون الشرك بالله، وهو عُرْضَة للوعيد عُرْضَة للعقوبة، هٰذا الذي هو ظالم لنفسه فيما دون الشرك - ظلمها بالمعاصي والذنوب التي هي دون الشرك- هو من أهل الجنة، لماذا؟ لأن الله قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾؛ لكن لا يلزم من ذلك أن يكون دخولًا أوليًا، هو سيدخل الجنة قطعًا؛ لكن لا يلزم من ذلك أن يكون هٰذا الدخول أوليًا؛ مثل ما جاء أيضًا في الحديث قال عليهِ الصلاةُ والسلام: «من قال: لا إلٰه إلا الله دخل الجنة يصيبه قبل ذلك أو لا يصيبه»؛ أي قد يكون عنده معاصي وذنوب ويدخل بها النار؛ ولكنه مآلُه ومصيره إلى الجنة.

ثم أيضًا دخول هؤلاء للنار هو دخولٌ من أجل التَّنقية والتمحيص والتطهير؛ مثل ما قال ابن القيم في بعض كتبه كلمة جميلة ومفيدة قال رحمةُ الله عليه: "هناك ثلاثة أَنْهُر في الدنيا من تَطَهَّر بها فقد طَهَّرَتْهُ وهي: الحسنات الماحية والتوبة النَّصُوح والحسنات المُكفِّرَة؛ فمن تَطَهَّر بها طَهَّرَتْهُ وإلا طُهِّرَ في نَهَر جهنم يوم القيامة"، فأصحاب المعاصي التي هي دون الشِّرك ودون الكفر بالله دخولهم النار دخول تطهير، لماذا؟ لأن الجنة دار الطِّيبِ المحض، ولاحظ كلمة ﴿طِبْتُمْ﴾ التي تُقال للداخلين ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر]، فالذي طِيبُهُ شَابَهُ خبث يُطَهَّر من خبثه في النار إذا لم يكن قد تَطَهَّر منه في الدنيا، ثم يدخل الجنة مُطهَّرًا؛ ولهٰذا قال ابن القيم في كتابه «الوابل»: الدُّور ثلاثة: دار الطِيب المحض، ودار الخَبَث المحض، ودار الطِيب الذي شابَهُ خبث؛ وهي نار عُصاة الموحِّدين، فهٰذه النار التي هي لعُصاة الموحدين نارٌ يُعذبون فيها ويصلون عذابها ليُطَهَّرون؛ ولذلك لما كانت كبائرهم في الدنيا متفاوتة صار أيضًا خروجُهم من النار متفاوتًا دُفُعات تلو دفعات حتى يخرجون عن آخرهم، فلا يبقى في النار إلا أهلُها الذين هم أهلها أهل الكفر والشِّرك بالله ﷻ، هٰذا معنى قول المصنِّف (كَمَا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عُذِّبَ).

وهنا تستفيد فائدة أنَّ التوحيد والإيمان موجبٌ لدخول الجنة؛ فإن كان توحيد مع تحقيق للإيمان وتتميمٌ له سواء كمّل الإيمان الواجب أو مع الإيمان الواجب كمّل الإيمان المستحب فهٰذا دخوله للجنة دخولٌ أولي، أو يكون عنده توحيد وإخلاص لله وبُعد عن الشرك؛ لكن عنده معاصي وظلم نفسي فهٰذا أيضًا من أهل الجنة؛ لكن لا يلزم من ذلك أن يكون دخوله لها دخولًا أوليا فقد يمر قبل ذلك بمرحلة تعذيب، قال: (**فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عُذِّبَ**).

(**قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ...» الحديث..**)، «**وعقوق الوالدين**» وكان مُتكئًا فجلس وقال: «**ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور**» وما زال يكررها عليهِ الصلاةُ والسلام حتى قال الصحابة: ليته سكت.

فهٰذا الحديث فيه تنصيص على أن الشرك أكبر الكبائر، وفي مقدمة الكبائر، وهو أخطرها.

وكذلك قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَات ...**»، فَذَكَرَ منها الشِّرْكَ؛ بل في مقدمتها الشرك بالله عز وجل.

وقوله: «**اجْتَنِبُوا**»: سبق التنبيه على هٰذه الكلمة من فائدة.

وقوله: «**الْمُوبِقَات**»؛ أي: المُهلِكَات، سميت الكبائر موبقات لأنها تُهلك صاحبها، وأيضًا تُسمَى (المُقْحِمَات) لأنها تُقحِم صحابها في العذاب وفي الهلاك، وأيضًا تسمَّى (المهلكات)، وتسمَّى (الكبائر)، وتسمى (العظائم)؛ عظائم الذُّنوب.

(**وَقَالَ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوه**»)، وهٰذا أيضًا فيه بيان هٰذه الكبيرة الكفر والشِّرك بالله بأن يُبدِّل دينه بدل التوحيد فينتقل إلى الشرك والتكذيب.

[ونقف هنا، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.]